كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثالثة فنون درامية/ السداسي الخامس

مقياس: نقد مسرحي حديث ومعاصر

المحاضرة رقم 07 بعنوان:
" المنهج النقدي النفسي"

عرف المنهج النقدي النفسي في مطلع القرن العشرين مع تأسيس علم النفس التحليلي على يد 'سيغموند فرويد'، وصدور دراساته وفي مقدمتها 'تفسيرها الأحلام'، تلك الدراما التي كشفت عن قوى النفس الثلاث الأنا والهو والانا الأعلى، وأثر اللاشعور في سلوك الإنسان ومختلف نشاطاته، والعقد والأمراض النفسية التي تصيب الانسان مثل انفصام الشخصية والنرجسية وعقدة أوديب.

لكن جذور التيار النفسي في الدراسات النقدية تمتد إلى زمن بعيد، فعلى سبيل المثال، فطن أرسطو إلى العلاقة القائمة بين الأدب والنفس الإنسانية، ورأى للمسرحية 'المأساة' وظيفة نفسية سماها 'التطهير' وقصد به أن مشاهدة المأساة تثير عند المتفرج عاطفتي الشفقة والخوف ومن ثم يتخلص منهما أو يتطهر ويحلل الاعتدال والاتزان محل الاسراف والحدة في عواطفه وانفعالات. وفي الوقت نفسه يعد الناقد الفرنسي

'سانت بيف' من بين الممهدين لظهور المنهج النفسي وذلك لأنه ربط حياة الأديب وشخصيته ونتاجه، وذهب إلى أننا إذا استطعنا أن نكسب معرفة بحياة الأديب والمؤثرات الرئيسية فيه، أمكننا أن نصل إلى فهم صحيح لأثاره الأدبية.

ومثل ذلك تفسير فرويد لرواية 'الإخوة كرامازوف' في ضوء عقدة أوديب، والعلاقة بين مقتل الأب في الرواية ومصير أب دوستويفسكي نفسه، كما تناول المنهج النفسي مسرحية شكسبير 'هاملت' وفسر طبيعة هذه الشخصية الغامضة في ضوء عقدة أوديب أيضا، فظهر هاملت مصابا بهذه العقدة، من هنا نستطيع أن يثأر لأبيه من أمه وعمه اللذين قتلا الأب، فهاملت لم يقتل الأم لأنه كان يحمل في اللاشعوره تجاهها عاطفة أثيمة مكبوتة، كما لم يقتل العم لأنه لو قتله فكأنه يقتل نفسه، وهكذا يظل مترددا بين الأقدام والأحجام، ويتظاهر بالجنون حتى يعفي نفسه من القيام بواجب الثأر، على الرغم من يقينه بأن عمه هو قاتل أبيه.

للمنهج النقدي النفسي وجود في النقد القديم، ومن نماذج ذلك حديث أفلاطون عن عملية الإبداع، ونظرية أرسطو في التطهير التي تربط الإبداع الأدبي بوظائفه النّفسية، إضافة إلى تقديم 'سنت بيف' معرفة نفسية بالأديب، لدى رسمه صورته، وكلام غير ناقد عن العاطفة والتجربة الداخلية والانفعالات والخيال في النص، من دون استخدام أدوات التحليل النّفسي.

بدأ النقد النفسي بوصفه نقدا منهجيا، علميا منظما في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، إذ حدث، تطور في علم النفس، تمثل في التحليل النفسي، الذي وضع أسسه في غير كتاب، ومارسه عمليا العالم النمساوي 'سيغموند فرويد' وتلامذته، ومنهم 'ألفريد أدلر وكارل يونغ'. حيث استلهم فرويد نظريته في التحليل النفسي من الفلاسفة والشعراء والفنانين وقسّم الجهاز النَّفسي للإنسان إلى ثلاثة أقسام هي: (الأنا الأعلى)، استجابات الشعور والروادع، ويتمثَّل في المعايير والقيم الاجتماعية والأخلاقية التي يمثلها الإنسان، ويتصرّف وفاقا لها، فتنظّم سلوكه، ليتوافق وضوابطها. (الأنا، ما قبل الوعي). (الهو، اللاوعي) ويتمثل في الجانب البيولوجي للإنسان، حيث الرَّغبات والأهواء، وهذا الجانب توجهه غريزتان توجِّهان سلوك الإنسان هما:

أ. غريزة الحياة 'إيروس' وتتمثل في الحاجات البيولوجية التي تتيح له الاستمرار في حياته، والمحافظة على بقاء نوعه.

ب. غريزة الموت 'ثناتوس'، وتمثل مختلف الرغبات التي تدفع الفرد إلى العدوان.

ثم عدل 'فرويد' نظريته، إذ كان يعتقد بأن الغزيرة الجنسيَّة 'الليبيدو' هي الطاقة التي توجِّه سلوك الإنسان، وهكذا يفسر فرويد عملية الإبداع الفني بأن باعثها الأول هو إشباع 'الرَّغبات المكبوتة'، وأهمها الرغبة التي تولدها الغريزة الجنسية 'الليبيدو'، وتأسيسا على هذا يكون الأدب تجليا من تجليات اللاشعور وإشباعا لحاجات نفسية عميقة، ما يعني وجود تناظر بين الأدب والأحلام ويرى 'د. هـ. لورنس' أن الأديب يبذر مرضه في كتبه، وكشف ذلك يجعل النَّاقد محلِّلً، يتبيَّن دوافع الأديب ومكبوتاته اللاواعية، كما ساعد علم النفس الفنانين الواعين في إحكام إدراكهم للواقع، وفي شحذ قدرتهم على الملاحظة، أو في التوصل إلى صيغ لم تكتشف من قبل، ولكن علم النفس في ذاته، ليس إلا تمهيدا لعملية الخلق، وفي العمل الفني ذاته لا يكون الصدق السيكولوجي ذا قيمة فنية إلا إذا زاد من تراكبه واتساقه، إذا كان فنا.

فإذا كان علم النفس يوظف في سياق الأعمال الفنية ذاتها وتشكيلا لشخصية الناقد المسرحي، فبإمكان الحكم على الشخوص في المسرحيات والقصص بأنها صحيحة سيكولوجيا، وإثناء على المواقف وتقبل حبكة السرد لذات الصفة، وأحيانا تتفق نظرية سيكولوجية يعتنقها الكاتب عن وعي أو يميل إليها، مع إحدى الشخصيات أو أحد المواقف، ومن ثم فقد قالت الناقدة 'ليلي كاميل' عن هاملت أنه يتفق مع 'نمط الرجل الدموي الذي يعاني من الملانكوليا' وهو نمط توصل إليه الإليزابثيون بنظرياتهم النفسية، وبنفس الأسلوب حاول 'أوسكار كامبل' أن يثبت أن شخصية داك في مسرحية 'كما تحبها ' لشكسبير هي حالة 'ملانكوليا غير طبيعية ناتجة عن ابتلاع البلغم'، كذلك يمكن أن يظهر 'والتر شاندي' على أنه يعاني من مرض التداعي اللغوي الذي وصف في كتابات لوك.

ولعل أكثر أنواع الاستقطاب الحديثة هو ما قدمه 'نيتشه' في كتابه 'مولد التراجيديا' 1872، بين 'أبولو' و'ديونيسوس' إلاه الفن عند الإغريق، وبين نوعي الفن وعملياته التي يمثلانها: فن النحت والموسيقى، والحالات النفسية من حلم ونشوة، وهذه ترادف تقريبا 'الصانع' الكلاسيكي، و'الممسوس' الرومانتيكي ' (أو الشاعر البصير).

كما صنف عالم النفس الفرنسي 'ريبو' وفق نمطين رئيسين للخيال، أولهما 'التشكيلي Plastic' يميز صاحب الرؤية الحادة الذي تدفعه أولا ملاحظته للعالم الخارجي وإدراكه البصري له، والثاني 'المنساب diffluent' السمعي والرمزي، وهو الشاعر الرمزي أو كاتب الأقاصيص الرومانسية (تتيك tieck وهوفمان وبو poe) الذي يبدأ من عواطفه ومشاعره، باسطا إيها من خلال إيقاعاته وصور يوحدها روحه السائدة stimmung.

وبين النقد النفسي والنقد النفساني، فإن الأول يقوم على التحليل النفسي الذي يفسر السلوك الانساني ويرجعه إلى عوامله وأسبابه، أما النقد الثاني فيتعاطى مع العواطف والانفعالات والأخيلة.

إلا أن المنهج النقدي النفسي يؤسس في العمل المسرحي بناء على:

_اعتماده على عنصر الأحلام إلى جانب مرتكزات علم النفس وما يمكن أن يفرزه في العمل المسرحي أو الأدبي.

_وجب معرفة ذات المبدع الفكرية وتجاربه، معرفة دقيقة وشاملة لتساعد الناقد في الوصول إلى خفايا العمل وتحليل غوامضه من خلال نقد العمل المسرحي.

_ اعتماده لدور اللاوعي في تفسير أي نص مسرحي ومن ثم نقده، وهذا اعتبارا أن المنتج الإبداعي يحتوي على مخزون غني من الأدلة التي تدل على حياة الانسان اللاواعية.

_ يسعى الناقد المسرحي إلى قراءة استنباط الصراعات والصدمات التي مرت بحياة مُنتج العمل المسرحي أو الأدبي.

المكتبة البيبليوغرافية:

- ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج1.
- دومينيك فولشيد، المذاهب الفلسفية الكبرى.
- عيد الدحيات، النظرية النقدية الغربية: من أفلاطون إلى بوكاشيو.
- عاطف العراقي، ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسة.